الاغترار بعمل الإنسان الصالح

كثير من الناس يغتر بما عمل من أعمال صالحة ، ويظن أنها سبب فيما أعطاه الله من نعم ، والحقيقة أنها بفضل الله ورحمته .

فالله صاحب الفضل أن وفقه ويسر له عمل الصالحات ، كمثل صاحب العمل الذى استعمل عامل عنده فأجاد عمله وكافأه على هذا العمل ورقاه ، فإن ترقيته هذه ليست بسبب إجتهاده فى العمل لأن صاحب العمل له فضل تشغيله واستعماله فلولا ذلك لما وفق فى الاجتهاد فى العمل ، فكيف يجتهد وهو جالس فى منزله ؟! ، ولله المثل الأعلى بالإضافة إلى ما سبق أن أوضحنا أن الله عز وجل لو حاسب الناس على ذنوبهم ما ترك على ظهر الأرض من دابة ، إلا أنه برحمته يعفو عن الكثير .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا

تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [1] ، فالأعمال الصالحة مهما كانت لا تكفى لتكفير هذه الذنوب بالإضافة إلى نعم الله التى لا تعد ولا تحصى ، وأولها نعمة الإيمان والتوفيق للعمل الصالح حتى شكر الإنسان ربه لا يكون إلا بفضله وتوفيقه ، لذا كان يدعو سليمان عليه السلام ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [2] .

وفى المقابل : إذا أصاب الإنسان شر لا يحاسب نفسه ولا يقول هذا مما اقترفته من آثام ، وإنما يرجعها إلى الحظ أو السحر أو الحسد أو إلى القدر ، أو يقنط من رحمة الله

---

(١) سورة فاطر الآية (٤٥) .
(٢) سورة النمل الآية (١٩) .

ويسب الدهر أو الريح أو الحمى ، وكل ذلك نهانا الرسول الكريم ﷺ عنه فهو كفر ، كما أنه لا يجعله يستغفر الله ويتوب ، فيتوب الله عليه .

التعلق بالحظ :

كثير من الناس يخلط بين القدر والحظ ويعتقد أن هناك إنسان محظوظ وآخر غير محظوظ ، وذلك لحكمهم بظاهر الحياة الدنيا ، لأنهم لا يريدون الآخرة ، أما السعيد الحقيقى هو من هداه الله ووفقه لفعل الطاعات ورضى بما قسمه الله له ، وقضاء الله وقدره ، فهذه هى الحياة الطيبة كما سبق وأشرنا فهذا سعيد الدنيا والآخرة .

نجد ذلك فى قصة قارون مع قوم موسى ، قال تعالى :

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١) .

فقد كان ظاهر الأمر للذين لا يعلمون علوم الدين أنه محظوظ ، أما الذين أتوا العلم فعرفوا أنه مسكين لأن ثواب الآخرة خير ، فمن كان همه الدنيا يكون فى شقاء دائم لا ينتهى ، فإن أعطاه الله طمع فى المزيد ، وإن فاته شىء تحسر عليه .

وقال بعض الصالحين نحن فى سعادة ولو يعلمها الملوك لقاتلونا عليها .

---

(١) سورة القصص الآيات « ٧٩ - ٨٢ » .

الاغترار بعفو الله ورحمته والفهم الخاطئ للقرآن والسُنة :

قال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) ﴾ (٢) .

وقال ﷺ : « إن أقواماً خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : إنّا نُحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

فكثير من الناس يعتمد على عفو الله ورحمته ويرتكبوا الكبائر ويقولون : إن الله غفور رحيم ، وهذا غرور بالله ،

---

(١) سورة المائدة الآية « ٩٨ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ١٦٩ » .

والبعض الآخر يقول : إن الإيمان بالقلب وهذا أيضاً غرور .

قال ﷺ : « **الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل** » .

والبعض الآخر يقول : إنما الأعمال بالنيات ، اعتماداً على حديث الرسول ﷺ وهذا أيضاً اعتقاد فاسد ، فالنية لابد أن يتبعها عمل بصدقها ، فالذى ينوى الصلاة لابد أن يقوم بأدائها والذى يريد رضى الله لابد أن يطيعه ، ومن أراد دخول الجنة فلابد من العمل لها .

قال ﷺ : « **كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : ومن يأبى يارسول الله ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى** » [1] .

وقال تعالى ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** (٥٢) ﴾ [2] .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٧٢٨٠ » وأحمد « ٣٦١/٢ » وهو فى صحيح الجامع «٤٥١٣» .

(٢) سورة النور الآية « ٥٢ » .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (١) .

والبعض الآخر يؤجل التوبة إلى آخر العمر ، وهذا أيضاً من الغرور لأنه لا يعلم متى تأتيه منيته وسبب هذه الاعتقادات الفاسدة لعدم اليقين بأن هناك رب يحاسب وشاهد على عمل الإنسان ما أسرَّ به وما جهر ، فلو كان على يقين من ذلك ما استهان بأوامر الله ونواهيه ، إلا أن إبليس يهون فى أعينهم المعاصى ويعدهم ويمنيهم بهذه الاعتقادات الفاسدة ويحفو الله افتراء على الله وغروراً .

قال تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا

---

(١) سورة آل عمران الآية « ٣١ » .
(٢) سورة لقمان الآية « ٣٣ » .

لاَ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِه وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِه شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١) .

وهذا أيضاً من الجنون ، فلو افترضنا أن طالب علم دخل الامتحان بدون مذاكرة واعتقد أنه سينجح ستقول : أنه مجنون ، كيف ينجح بدون مذاكرة ، ولو أنك قلت لرجل : أن هناك طريق إذا مشى فيه سيهلك ، فمشى فيه فإما أنه غير مصدق ، أو أنه مجنون ولا ثالث لهما ، فهذا حال الفاسق الذى يدعى الإيمان بالله وعمله يؤكد عكس ذلك ، لذا وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يعقلون وأنهم كالأنعام بل هم أضل .

قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الفرقان الآية « ٤٣ ، ٤٤ » .

(٢) سورة الإسراء الآية « ٤٤ » .

وقال تعالى عنهم أنهم أضل من الأنعام ، لأن الأنعام تسبح ربها بالفطرة إلا أنهم لا يعقلون كالإنسان ، قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (١) ، وأما الذى يقرأ القرآن أو حتى يحفظه ولا يعمل به يكون كاليهود ، فقد شبههم ربنا عز وجل بالحمار الذى يحمل أسفاراً لا يدرى ما فيها .

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥ ﴾ (٢)

قال ﷺ : « رب قارئ للقرآن وهو يلعنه » .

فيقرأ ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝١٨ ﴾ (٣) ، مثلاً وهو ظالم .

---

(١) سورة الإسراء الآية « ٤٤ » .
(٢) سورة الجمعة الآية « ٥ » .
(٣) سورة هود الآية « ١٨ » .

التعلق بالكبراء والآباء وأقوال العلماء

من طبيعة البشر أن يقلد الصغير الكبير سواء كان فى السن أو المركز أو الغنى لأنهم يعتقدون فى صلاحهم ، أو أن الله أعطاهم ذلك حباً فيهم أو لكى يصلوا إلى ما وصلوا إليه ، وهذا فهم خاطئ كما سبق أن أوضحنا لأن نعيم الدنيا لا يدل على رضاء الله عن الإنسان ، فإذا كان الذى يقلده فاسق فسق مثله ، ثم يوم القيامة لا يدفع عنه العذاب ويندم أشد الندم يوم لا ينفعه الندم .

قال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] .

---

(١) سورة سبأ الآيات (٣٢ ، ٣٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾ (١) .

أما عن تقليد الآباء ، نجد كثيراً من الناس يقلدون آباءهم دون رد فعلهم إلى الدين ، حتى ولو كانوا على ضلال ، فإذا أمرتهم بالمعروف كانت حجتهم أن آباءهم لا يوافقون على هذا ، فتجد مثلاً السيدة المتبرجة إذا أمرتها بالحجاب، قالت : إن أباها لا يوافق ، أو أن زوجها لا يعجبه الحجاب ، أى أنهم لا ذنب لهم ، إنما السبب هو آباءهم ، وقد قال ﷺ : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا

---

(١) سورة الأحزاب « ٦٦ – ٦٨ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البغوى فى شرح « ١٠/٤٤ » برقم « ٢٤٥٥ »

أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [1] ، أى حتى لو كان عمل هؤلاء الآباء مخالف لأوامر الله والشيطان هو الذى أمرهم به ليدخلهم فى جهنم معه .

والبعض الآخر يحتج برأى الشيخ الفلانى ، لأن رأيه يوافق هواه حتى ولو كان مخالفاً لأوامر الله ، فكم من العلماء ضلّوا وأضلّوا – هداهم الله وهدانا أجمعين – ، أما المؤمن الذى يريد طاعة الله – عز وجل – فيذهب إلى العالم الذى يخاف الله عز وجل والرجوع إلى كتاب الله وكتب التفاسير التى تركها لنا السلف الصالح ، فيجتهد بقدر استطاعته فى معرفة الحكم الصحيح ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، أما الشيخ لن ينفعه يوم الحساب ولن يحميه من عذاب الله ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

(١) سورة لقمان الآيات « ٢٠ ، ٢١ » .

رسُولاً ﴾ [1] .

التعلق بالسحر والحسد :

قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [2] ، هذه الآية يقرأها كثير من الناس ، ولكن يمرون عليها دون تدبر لمعناها ، فهى من الأسس التى بنيت عليها عقيدة المؤمن ، وهى الإيمان بالقضاء والقدر وليس لنا إلا التسليم والتوكل على الله .

الرضا بما قسمه الله لنا ، ثم الاستغفار والتوبة والدعاء، إلا أن كثيراً من الناس يخشى الحسد، ويرجع كل ما يحدث له من شر إلى الحسد أو السحر هرباً من محاسبة النفس ، لأنهم يعتقدون أنهم لا يذنبون ، بل ويمنون على الله بما عملوا من الصالحات .

---

(١) سورة الإسراء الآية « ١٥ » .

(٢) سورة التوبة الآية « ٥١ » .

إن السحر والحسد حقيقتان ذُكرا فى القرآن الكريم ونلمسها فى حياتنا ، إلا أن الخوف منهما ، وتعليق كل ما يحدث للإنسان من مصائب وشرو نتيجة للحسد أو السحر يصرف الإنسان عن التوبة والاستغفار ، كما أنه من الممكن أن يصل به إلى الكفر والشرك بالله كما سنوضح .

قال ﷺ : « **لو كان شيئاً سابق القدر لسبقت العين القدر** » ، إذن معنى الحديث أن القدر سابق العين ، وأنه إذا قضى الله الأمر كانت العين أو السحر سبباً لقضاء هذا الأمر، والقضاء مقدر بعمل الإنسان كما سبق أن أوضحنا ، ولا يظلم ربك أحداً ، فعلاقة السحر والحسد بالقدر هى أنه إذا وافق القدر أصاب الإنسان ، وإن لم يوافقه لم يصبه .

لذا قال تعالى عن السحر فى سورة البقرة : ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)** ﴾ [1] .

(١) سورة البقرة الآية « ١٠٢ » .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [1]

قال ابن عباس- رضى الله عنهما - فى تفسير الآية : أى يعينوك بمعنى يحسدونك لولا وقاية الله وهى للمؤمن كفارة لذنوبه ورفع لدرجاته .

وجاء أيضاً فى تفسيرها أن النبى ﷺ كان يتعوذ من أعين الجن والإنس ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك ، وقال النبى ﷺ : « واعلم أنه لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » [2] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ

---

(١) سورة القلم الآية « ٥١ » .

(٢) سبق تخريجه .

عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) ﴾ [١] .

والحسد والطيرة والظن من الأمور التى تعرض لكل إنسان ، قال ﷺ : « ثلاث لازمات لأمتى الحسد والطيرة والظن ، فإذا حسدت فاستغفر الله ، وإذا تطيرت فامض ، وإذا ظننت فلا تحقق » وقال أيضاً : « كل ذى نعمة محسود » ، وما من أحد إلا وقد منّ الله عليه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ، إلا أن البعض حرم بعضها ، فى حين يتمتع بها الآخرين ، إذاً كلنا إما حاسد أو محسود ، والحسد مذموم ونهانا عنه ﷺ وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، كما قال ﷺ لذا قال فى الحديث السابق فإذا حسدت فاستغفر الله .

وأما الطيرة أو التطير ، فهو التشاؤم ، سواء كان من شخص أو من يوم أو مكان ... إلخ ، كل ذلك شرك . قال

---

(١) سورة يونس الآية « ١٠٧ » .

ﷺ : « الطيرة شرك » [1] .

وقال : « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » [2] .

قال ابن مسعود : وما منا إلا تطير ، ولكن يذهبه التوكل ، وكفارته أن يقول الإنسان : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا ضر إلا ضرك ولا إله غيرك .

أما أنه شرك ، فلأن الذى يتطير من شىء يعتقد أن هذا الشىء هو الفاعل بذاته للشر أو الضرر ، والحقيقة أن الضار والنافع هو الله وحده لذا وجب التوكل عليه لذا أمرنا ﷺ فى الحديث : « وإذا تطيرت فامض » .

قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أبو داود « ٣٩١٠ » والترمذى « ١٦١٨ » وابن حبان « ١٤٢٧ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ٢٢٠/٢ » .

وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) ﴾ (١) ، يعني ما أصابك من الحسنات والسيئات من عند الله ، أي بقدر الله وأما سببها ، وهو ما اقترفته من آثام ، وأما الحسنات فمن الله بفضله وكرمه وجوده كما سبق أن أوضحنا ، فالشؤم لا يكون إلا من الذنوب والمعاصي وأهلها.

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) ﴾ (٢) .

وعلاج السحر والحسد لا يكون إلا بالقرآن والرقى المأثورة عن النبي ﷺ كالمعوذتين ، قال ﷺ عنهما أنهما من أعظم سور القرآن الكريم ، قال : « ما سأل سائل

(١) سورة النساء الآيات « ٧٨ ، ٧٩ » .
(٢) سورة هود الآية « ١١٣ » .

بمثلها ولا استعاذ معيذ بمثلهما » [1] .

بالإضافة إلى الدعاء والاستغفار والتقرب إلى الله بالنوافل وفعل الخيرات والتصديق والصبر أولاً وأخيراً فهو خير دواء وهو كفارة لذنوبه ورفع لدرجاته ، قال ﷺ : « ما يصيب المؤمن من همٍّ ولا حزن ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من سيئاته » [2] .

وأما الفاسق والكافر فلا يعتقد في القرآن ويعتقد أن العين بذاتها هي السبب وأن السحر لابد أن يصيبه فيلجأ إلى ما يزيده كفراً وفسوقاً كتعليق التمائم وما شابهها والذهاب إلى السحرة والمنجمين وتصديقها ، وقد قال ﷺ : « من أتى عرافاً فصدقه فقد كفر بما جاء به محمد » [3] ، وقال ﷺ : « من علّق تميمة فلا أتمّ

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود « ١٤٦٣ » والنسائي « ٥٤٥٣ » والدارمي « ٣٤٤٠ » ولفظه : « يا عقبه ! تعوذ بهما ، فما تعوذ متعوذ بمثلهما »

(٢) صحيح : أخرجه البخاري « ٥٦٤١ » ومسلم « ٢٥٧٣ »

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود « ٣٩٠٤ » والترمذي « ١٣٥ » بلفظ : « من أتى كاهناً ... » .

الله له ومن علق ودعه فلا أودع الله له »[1] ، أى أنه ﷺ دعا على كل من اعتقد بأن التمائم تأتى بخير أو تمنع شراً .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾[2] ، ويستمع إلى كل من يصف له وصفة لمنع الحسد أو السحر ودون الرجوع إلى الكتاب والسُّنة ويعتقد أنها ترد قدر كما صور له مر نصحه بها ،وقد قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦) ﴾[3] .

ويلجأ الفاسق إلى مثل هذه الأشياء لأنه إذا جرَّب اللجوء إلى الله والاستشفاء بالقرآن لا يجده ، لأن القرآن

---

(١) ضعيف : أخرجه أحمد « ١٥٤/٤ » وابن حبان « ١٤١٣ » والحاكم « ٢١٦/٤ » ، ولكن بلفظ « من علق تميمة فقد أشرك » فهو صحيح ، أخرجه أحمد « ١٥٦/٤ » والحاكم «٢١٩/٤» .

(٢) سورة يوسف الآية « ١٠٦ » .

(٣) سورة الأنعام الآية « ١١٦ » .

جعله الله شفاء للمؤمنين فقط وهو على الفاسق والكافر عمىً وخساراً .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) ﴾ (٢) .

فليحذر المؤمنين من نصائح هؤلاء أو تقليدهم فيما يفعلون دون الرجوع إلى القرآن والسُّنة ويكون توكله على الله ولا يخشى إلا الله وذنوبه ، ومن أكبر الذنوب التى يفعلها الإنسان دون أن يدرى وتكون سبباً مباشراً للحسد : التفاخر والفرح والخيلاء والكبر واليأس والقنوط من رحمة

(١) سورة فصلت الآية « ٤٤ » .
(٢) سورة الإسراء الآية « ٨٢ » .

والشكوى لغير الله وكلها صفات يبغضها الله عز وجل ، ويبغض من هذه صفاته فيسلط عليه الحاسدين ، فالنعمة من الله وليس له فيها فضل حتى يفرح بها ويحتال ويتكبر على عباد الله الذين لا يملكون مثلها .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٥١) ﴾ (١)

فالنعمة من الله عز وجل ومع ذلك يعتقد الإنسان أنه يستحق هذا الفضل فيقول : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ فيصبه سيئات ما كسبت يداه التى كان قد تجاوز الله بفضله عنها

---

(١) سورة الزمر الآيات « ٤٩ - ٥١ » .

فتصيبه عين الحاسد غضباً من الله عليه لما اعتقد هذا الاعتقاد.

ونجد مثلاً آخر فى سورة القصص وقد فقالها أيضاً قارون الذى كان من قوم موسى عليه السلام فخسف الله به الأرض ، يقول تعالى مخبراً عن جواب قارون لقومه حين نصحوه إلى عمل الخير ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ (١) ، أى أنا لست بحاجة إلى نصحكم لأن الله أعطانى هذا المال لعلمه بأنى استحقه ولمحبته لي وأنى أهل له فلما قالها أصابه حسد الناس .

قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٢) .

فغرور الإنسان بعمله الصالح من أشد الأفات التى تجره إلى الفرح والغرور والكبر ، وهى صفات يبغضها الله عز

---

(١) سورة القصص الآية « ٧٨ » .
(٢) سورة القصص الآية « ٧٩ » .

وجل ، قال ﷺ عن رب العزة : « الكبر ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا أبالى » .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (١) .

أما إذا علم أنه ليس له فضل فيما يملك ، ولكن الفضل كله لله إزداد شكراً وتواضعاً لله وللناس فيحبه الله ويزيده ، ويحبه الناس ولا يحسدوه فهذا هو شكر الله على نعمه .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٢) ، فالتواضع شكر ، والكبر والخيلاء كفر بنعم الله ولأنه يعتقد أنه صاحب فضل .

والقنوط من رحمة الله أيضاً كفر ، قال تعالى فى سورة

---

(١) سورة النساء الآية « ٣٦ » .
(٢) سورة إبراهيم الآية « ٧ » .

يوسف على لسان يعقوب عليه السلام ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴾ [1]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) ﴾ [2].

فاليأس والقنوط يجعل الإنسان يتلفظ بما يخرجه من الإيمان إلى الكفر كسب الدهر وهو لا يعلم أنه يسب ربه ، قال ﷺ عن رب العزة : « **يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار** » [3].

واليأس يجعل الإنسان يشتكي همه إلى الناس وهو لا يعلم أنه يشتكي ربه ، فإذا فعل ذلك سلّط عليه الحاسدين الذين هم أكثر منه همّاً وابتلاءً غضباً من الله عليه .

---

(١) سورة يوسف الآية « ٨٧ » .
(٢) سورة الروم الآية « ٣٦ » .
(٣) سبق تخريجه .

وأما المؤمن الحق فهو على خير حال ، إن أصابه نعمة شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له كما قال ﷺ ، فلا يحسده الناس حماية من الله له ورضى عنه .

فالمؤمن يعلم أن كل ما يحدث له مقدر عليه فلا يفرح بما آتاه الله ولا يحزن على شيء فاته ، قال تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١) .

أما علاقة البخل بالفرح والخيلاء ، فالبخيل يكتنز المال حتى يصبح غنياً ليختال ويفخر به على الآخرين ، كما أن البخيل لا يثق في كرم الله وأن ما ينفقه يخلفه الله عليه ويضاعفه ، وهناك صنف آخر من الناس يكتم ما آتاه الله

---

(١) سورة الحديد الآيات ٢٣ ، ٢٤ .

بخلاً منه حتى لا يعطى أصحاب الحقوق حقهم ، أو خوفاً من الحسد وهذا كفر أو جحود بنعم الله عليه ، بل ويأمر الناس كذلك بالبخل وهذا لإعجابه وحبه للبخل ، وقد قال ﷺ : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧) ﴾[2] .

---

(١) ضعيف جداً : فيه الفضل بن بكر العبدى ، وأيوب بن عتبة ، أخرجه العقيلى فى الضعفاء « ٤٤٧/٣ » والبيهقى فى الشعب « ٤٧٥ » والبزار « ٨١ » .

(٢) سورة النساء الآيات « ٣٦ ، ٣٧ » .

فعندما يعلم أصحاب الحقوق ما عنده من مال فلابد أن يفضحه الله ، فيحسدوه بأمر الله لأنه منعهم حقوقهم التى فرضها الله عليه لهم ، وغالباً ما يكون الذى يخاف من الحسد إنسان أكثر مالاً أو ولداً أو جاه من أقاربه ، فإذا أظهر ذلك لهم فكأنما يقول لمن هو أقل منه شأناً أنا خير منك وأكثر مالاً وولداً كما حدث مع صاحب الجنتين فى سورة الكهف ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً (٣٤) ﴾ [1] ، فردّ عليه صاحبه ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً (٤٠) ﴾ [2] .

---

(١) سورة الكهف الآية « ٣٤ » .

(٢) سورة الكهف الآيات « ٣٨ - ٤٠ » .

فالفرح والكبر الذى يتبعه الخوف من الحسد شرك بالله عز وجل لأنه اعتقد أنه صاحب فضل كما سبق أن أوضحنا ، أما إن قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله معتقداً أن الفضل كله لله إن شاء زاد وأبقى ، وإن شاء منع فلا يخاف الحسد وبالتالى لا يصيبه ضرر حاسد ، لذا أمرنا ﷺ إن أعجبنا شيئاً أن نقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، حتى لا يحسد المرء نفسه كما حدث مع صاحب الجنتين ، أما إن قالها بلسانه فقط معتقداً أنه صاحب فضل وأنه أهل لما أعطاه الله أصبحت بدون مضمون وبالتالى لا أثر لها فيحسد نفسه ويحسد الناس ، فالمال والولد والجاه فتنة وابتلاء من الله عز وجل للعبد ليرى هل سيشكر أم يكفر ؟ ، فإن شكر زاده ، وإن كفر وتكبر على عباد الله سلبه النعم وأعطاها لمن لا يتكبر ، وكم من حالات رأيتها فى حياتى من هذا القبيل .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ

وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] .

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [2] .

فكم من غنى قطع رحمه لأنهم فقراء وتبرأ منهم ، يخشى حسدهم ، وإذا افتقرهو طالب بصلة الرحم .

ولنا فى حكاية سيدنا يعقوب مع بنيه درساً فى التوكل على الله إذا خاف الإنسان الحسد ، قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ

(١) سورة الأنبياء الآية « ٣٥ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ١٦٥ » .

قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [1] .

قال ابن كثير فى تفسير الآية : خاف عليهم الحسد فطلب منهم الدخول من أبواب متفرقة إلا أن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضائه وهو يعلم ذلك عن يقين لذا قال : ﴿ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [3] ، أى لا يعلمون هذه الحقيقة وهى أنه لا شىء يمنع قدر الله وقضائه، لذا وجب التوكل عليه والتسليم لأمره .

فالتوكل على الله يجعل الإنسان فى حفظ الله ورعايته ويدخل حصنه الحصين فلا يقدر أنس ولا جن على ضره

---

(١) سورة يوسف الآيات « ٦٧ ، ٦٨ » .
(٢) سورة يوسف الآية « ٦٧ » .
(٣) سورة يوسف الآية « ٦٨ » .

إلا بإذن الله ، فالعين حق ، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم كما قال ﷺ ، والشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، كما قال رب العزة فى سورة النحل : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [1] ، وقليل من الناس من يصل به اليقين إلى درجة التوكل على الله .

لذا قال ﷺ : « سبعون ألف من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال ﷺ : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » [2] .

فالمتوكل على الله بدلاً من ينصرف ذهنه إلى الخوف من الحاسد ، وعلاج الحسد بالموصفات التى يسمعها من

---

(١) سورة النحل الآية « ٩٩ » .
(٢) صحيح : أخرجه البخارى « ٦٤٧٢ » .

الناس سواء كان ما يفعله يُرضي الله أم يدخله في دائرة الشرك وغضب الله عز وجل ، ويهديه الله عز وجل إلى علاج ما به ، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً وإن كانت مشكلة عائلية فكر في حل لها فإن لم يجد ، فالصبر خير دواء به يكفر الله من سيئاته ويرفع درجاته ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (١) ، ليس ذلك فقط وإنما يرد الله حسد الحاسد على نفسه ويرفعه الله عن المحسود بتوكله ، كما أن التوكل على الله يحفظ الإنسان من الوقوع في ذنب عظيم عندما يذكر أخاه المسلم بما يكره ، وهو وصفه بأنه حسود فهذه هي الغيبة التي نهاها ربنا عز وجل عنها ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا

(١) سورة الزمر الآية « ١٠ » .

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [1] .

وعرفها لنا ﷺ وقال : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : لا ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قالوا : وإن كان ما فيه يارسول الله ، قال : إن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته » [2] .

وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » [3] ، فإذا كنت تكره أن يصفك أحد بهذه الصفة فلا تصف أخيك بها ، ولكن اعرفها فى نفسك وعامله بما يرضى الله متوكلاً عليه ، فالتوكل على الله يرفع الحسد والبغضاء من قلوب المسلمين ، فيسود بينهم الحب والمودة ، فالفقير يحب الغنى لمودته إياه ، والغنى

---

(١) سورة الحجرات الآية « ١٢ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٥٨٩ » وأبو داود « ٤٨٧٤ » وأحمد « ٢/٢٣٠ » .

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ١٣ » ومسلم « ٤٤ » .

openkotob.com

يعطف على الفقير بدلاً من أن يخاف حسده ويصل رحمه ويحسن إلى جاره ، قال ﷺ : « خير الصدقة لذى الرحم الكاشح – الذى يضمر لك العداء – »[1] ، وتأليف القلوب وحب الناس بعضهم لبعض لا يتأتى إلا بفضل الله ورحمته على من يطيعون أمره ويتبعون منهجه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3] .

---

(١) حديث ضعيف : أخرجه البخارى « ٦٥٨ » والنسائى « ٩٢/٥ » وابن ماجه « ١٨٤٤ » .

(٢) سورة الأنفال الآية « ٦٣ » .

(٣) سورة آل عمران الآية « ١٠٣ » .

فبيّن الله عز وجل السبيل إلى تأليف القلوب فى هذه الآية هو الاعتصام بحبل الله وهو كتابه ومنهجه الذى يصلنا بالله عز وجل ثم يبين فى الآية التى تليها الطريق والسبيل إلى الاعتصام بحبل الله يكون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهو يرد كل خارج عن الدين إليه رداً جميلاً ، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] ، وحذرنا ربنا عز وجل من أن نفعل مثل ما فعل النصارى واليهود عندما نسوا ما ذُكّروا به من آياته وأوامره ، فيحل علينا غضبه ويضع البغضاء فى قلوبنا ، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ

---

(١) سورة آل عمران الآيات « ١٠٤ ، ١٠٥ » .

يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [1] ، أو يلعنا كما لعن بنى إسرائيل بتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾ [2] .

وبيّن الرسول ﷺ كيفية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تركه يؤدى إلى البغضاء بين الناس .

قال ﷺ : « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فواكلوهم وشاربوهم وجالسوهم فى مجالسهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، وكان متكأ فجلس وقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً - أى تعيدوهم إلى الحق - » [3]

---

(١) سورة المائدة الآية « ١٤ » .

(٢) سورة المائدة الآيات « ٧٨ ، ٧٩ » .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد « ٣٩١/١ » وأبو داود « ٤٣٣٧ » والترمذى « ٣٠٤٧ » .

أى لابد من ترك مجالسة أهل الفسق والمعاصى ، وإلا نكون قد وافقناهم على معاصيهم فتنزل اللعنة على الجميع .

وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ (١) .

وحذرنا ربنا عز وجل من موالاة الكافرين وطاعتهم لئلا يخرجونا عن ديننا ويردونا كافرين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٢) .

وهذا هو هدف أعداء الإسلام فى كل زمان ، حتى يسهل لهم النصر عليهم والسيطرة على ثرواتهم ، وحقداً

---

(١) سورة النساء الآية « ١٤٠ » .
(٢) سورة آل عمران الآية « ١٠٠ » .

منهم على الإسلام وأتباعه – فليحذر المسلمون ذلك – .

وهكذا نجد الإنسان يظلم ويكذب ويغتاب ويحرم كل ذى حق حقه ويبخل ويفرح ويختال ويتكبر على خلق الله ، وبمعنى جامع يعصى الله بل ويشرك به ثم بعد ذلك يعلق كل ما يحدث له من سيئات إلى الحسد أو السحر أو الحظ.

أى منطق يقبل هذا إلا منطق الكافر الذى لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وأن هناك رب شاهد عليه يحاسب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وإن كان مثقال ذرة لا تغيب عن علام الغيوب ولكنهم نسوا الله فنسيهم بالهداية وادّعوا كذباً أنهم مؤمنون ، وإن كان هذا منطق الكفرة والمشركين فإن المسلمين ليس لهم عذر وبين أيديهم كتاب كريم .

فالحسد والحسر والمرض وكل ما يصيب الإنسان من سيئات هى ظاهر الحياة الدنيا التى يعلمها كل الناس ، أما

ما وراء ذلك من حقائق فلا يعلمها إلا العالمون العاملون بكتاب الله وسُنة نبيه ﷺ .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[1] .

أكثر الناس لا يعلمون سُنن الله في كونه وفي خلقه لقلة علمهم بأمور دينهم ، فهم يأخذون وما يعجبهم ويتركون ما لا يعجبهم ، والدين كل لا يتجزأ ، فالعين والسحر حق ، وظاهر الأمر أنها تصيب الإنسان أحياناً ، أما حقيقة الأمر التي لا يعلمها كثير من الناس أنها لا تصيبه إلا بأمر الله وقدره وبسبب ذنوبه فلنشغل أنفسنا بتهذيب أنفسنا الأمارة بالسوء ومحاسبتها بدلاً من محاسبة الآخرين ، والنيل منهم فلهم رب يحاسبهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا

---

(١) سورة الروم الآيات (٦ ، ٧) .

سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ [1] .

وما أُبرى نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ، أعاننا الله جميعاً على مجاهدة النفس ، فقد سماه ﷺ الجهاد الأكبر ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [2] .

***

(١) سورة الشمس الآيات « ٧ – ٨ » .
(٢) سورة الروم الآية « ٤١ » .

obeikandl.com

الحب فى الله والبغض فى الله

أما مصادقة الفساق والفجار فهو باب من أبواب الهلاك، أو حتى مجالستهم ، فكل ذلك يساعد على تقليدهم حتى ولو أنكرت ما يفعلوه أول مرة ثم بعد ذلك تهون المعاصى فى عينيك ، ثم بعد ذلك تقلدهم دون أن تشعر وتصبح مثلهم ، لأن هناك ما يسمى بمسارقة الطبع ، فترى الصديق يتصرف مثل صديقه فى الكلام والأفعال لذا قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » [1] .

والصحيح أن تأمره وتنهاه عن فعله المنكر حتى يعود إلى الحق ، وينتهى عن الفواحش وإلا كان الإبتعاد عنه أسلم وإلا نزلت اللعنة عليك كما تنزل عليهم.

قال ﷺ : « لما وقت بنو إسرائيل فى المعصية نهتهم

---

(١) حديث حسن : أخرجه أحمد « ٣٠٣/٢ » وأبو داود « ٤٨٣٣ » والترمذى «٢٣٧٨» والحاكم «١٧٦/٤» .

علماءهم فلم ينتهوا، فواكلوهم وشاربوهم وجالسوهم في مجالسهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، وكان متكئاً فجلس وقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً »[1] ، أى تعيدوهم إلى الحق .

فيوم القيامة يندم أشد الندم ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[3] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة الفرقان الآيات « ٢٧ ، ٢٨ » .

(٣) سورة النساء الآية « ١٤٠ » .

وجاء فى تفسير هذه الآية أنه كشارب الخمر ، وأى منكر أنكره الشرع فالجلوس معهم يعنى الرضا بما يفعلون من منكرات أو أننا نريد رضاءهم فى سخط الله ولتقريب ذلك إلى الأذهان ،إليك هذا المثل ولله المثل الأعلى : هب أنك عرفت أن هناك طريق مَنْ مشى فيه هلك ، ووجدت حبيب لك يمشي فيه ، فإنك لن تتركه ، ولكن تنصحه بالابتعاد عنه ، فلو أصر ومشى فيه فليس أمامك إلا أن تتركه يهلك وحده وإلا هلكت معه .

وهذا هو مفهوم الحب فى الله والبغض فى الله ، فلو أحب الإنسان ربه عز وجل كره كل ما يغضبه وكل من يغضبه .

ولكى تتجنب هؤلاء الأشرار من المنافقين والفاسقين لابد من التعرف على صفاتهم كما جاء فى القرآن والسُّنة أما الفاسق فهو كل من خرج عن أوامر الله ونواهيه

بإصرار واستكبار كما فعل إبليس لعنه الله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢) ، فمعنى حاد الله ورسوله أى : عاداه وباغضه بالمعاصى .

---

(١) سورة الكهف الآية « ٥٠ » .
(٢) سورة المجادلة الآية « ٢٢ » .

صفات المنافقين كما جاء فى الكتاب والسُّنة :

١ – فمن صفات المنافق حب الكافرين وموالاتهم وحب الفاسقين ومجالستهم ، وقال تعالى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) ﴾ (١) .

٢ – فقلب المنافق أُشرب حب الدنيا ، أما الآخرة فلا يعمل لها إنما هى مجرد أمانى وأما العبادة يفعلها يراءى بها قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) ﴾ (٢) .

٣ – ومن صفاته أيضاً أنه لا يثبت على الحق فيكون مؤمناً ولا يجهر بكفره فيكون مع الكافرين إنما هو مع

---

(١) سورة النساء الآيات « ١٣٨ ، ١٣٩ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١٤٢ » .

الغالب ، قال تعالى : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ ﴾ [1] ، وقال ﷺ : « مثل المنافق كمثل شاه ترى قطيعين من الغنم ، تارة تسير إلى هذا وتارة تسير إلى هذا القطيع ولا تسكن لواحدة منها [2] ، لأنها غريبة ليست منها .

٤ - وهم يضحكون على أنفسهم ويخدعونها ويظنون أنهم يخدعون الله والمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾ [3] .

٥ - يعوثون فى الأرض فساداً بنشر الرذائل عن طريق التمثيليات والأفلام السينمائية وما إلى ذلك من الغناء الفاحش والرقص الفاضح حتى فى شهر رمضان الذى أُنزل

---

(١) سورة النساء الآية « ١٤٣ » .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٧٨٤ » ولفظه : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة » .

(٣) سورة البقرة الآية « ٩ » .

فيه القرآن ، وإذا قيل لهم هذا إفساد لأخلاق الناس قالوا : هذه ثقافة وفن ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) ﴾ (١) ، وإذا قلت لهم هذا حرام واتقوا الله قالوا : هذا تخلف وتشدد فى الدين ، إنما الدين يسر وساعة لربك وساعة لقلبك ، ثم يكون كل الوقت للهو والعبث والمجون ولا يكون لله شىء .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) ﴾ (٢) ، وإذا قيل لهم هذا فسق وخروج على الدين ثاروا وغضبوا لأنك تضعهم أمام حقيقة أنفسهم ، وهم لا يريدون ذلك ، فالشيطان يزين لهم أعمالهم حتى يستمروا فى غيهم ، وهذا هو معنى العزة

---

(١) سورة البقرة الآيات « ١١ ، ١٢ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ١٤ » .

بالإثم ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾ (١) .

٦ – وكذلك يسخرون من المؤمنين ويستهزؤن بهم ويرمونهم بالجهل والتخلف ويفرحون بما آتاهم الله من نعم الدنيا ظناً منهم أنه حباً من الله لهم ، قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) ﴾ (٢) .

٧ – ويأخذون من الدين ما يعجبهم ويتركون

(١) سورة البقرة الآيات « ٢٠٤ ، ٢٠٦ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢١٢ » .

التكاليف فيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض كما فعل اليهود ، فإذا كان لهم حق في ميراث مثلاً ذهبوا إلى كتاب الله ويأخذوا بحكمة ؛ أما التكاليف فلا ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) ﴾ (٢) .

٨ – ومن صفات المنافقين أيضاً أنه يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، فنرى البنت تريد طاعة الله بارتداء الحجاب فينهاها والدها أو زوجها عن طاعة الله ، قال تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ

---

(١) سورة النساء الآية « ٦١ » .

(٢) سورة النور الآيات « ٤٨ ، ٤٩ » .

الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) ﴾ [1] ، وذلك لأنهم نسوا الله بالطاعة فنسيهم بعدم الهداية فهم على ضلال ويريدون لأبناءهم أن يكونوا مثلهم .

٩ - ومن صفات المنافق أنه يهاب الموت ، لأنه لم يستعد له بالأعمال الصالحة وآثر الفانية على الباقية ، لذا قال الله عز وجل فيهم ﴿ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) ﴾ [2]

١٠ - ويستهزءون بأحكام الشرع ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) ﴾ [3] ، والمنافق لا يرضى بحكم الله ورسوله ولكن يعجبه قانون الطاغوت

---

(١) سورة التوبة الآية « ٦٧ » .
(٢) سورة التوبة الآيات « ٤٤ ، ٤٥ » .
(٣) سورة التوبة الآية « ٦٥ » .

والكفرة ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً (٦٠) ﴾ (١) .

١١ – والمنافق يفرح لهزيمة المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (١٤١) ﴾ (٢)

لهذه الصفات جميعاً كان عذاب المنافق شديد ، وهو أشد عذاباً من الكافر لأن الكافر يظهر ما فى قلبه من بُغض المؤمنين فخطره أقل على الإسلام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ

(١) سورة النساء الآية « ٦٠ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١٤١ » .

لهُـمْ نصيراً ﴿١٤٥﴾ ﴾[1] .

صفات المتقين :

صفة المتقين وضحها لنا ربنا عز وجل فى كتابه العزيز، فليعرض أحدنا نفسه على هذه الصفات بأمانه ، فإن كانت فيه فليتزود منها ، وإن لم تكن فيه اجتهد حتى يكون منهم، فهم يحبون الله ورسوله ويطيعونهم ويحبون المؤمنين والقرآن الكريم ويخشعون لذكر الله ويتوكلون على الله .

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ

---

(١) سورة النساء الآية « ١٤٥ » .

وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [1] ، وإقامة الصلاة تعنى أداءها فى أول وقتها وتمام الركوع والسجود والخشوع فيها، وهم عن اللغو معرضين ولفروجهم حافظون ولآماناتهم وعهده راعون .

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ

---

(١) سورة الأنفال الآيات « ١ - ٤ » .
(٢) سورة المؤمنون الآيات « ١ - ٩ » .

أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١) .

يصبرون فى المحن والشدائد امتثالاً لقضاء الله وقدره لعلمهم بحكمته ولحبهم له وترى ذلهم وخضوعهم لله عز وجل ، فإذا ذُكِّروا بآياته خروا سجداً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٣) .

يحبون الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال ولا يفرون منه ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ

(١) سورة الحج الآيات (٣٤ ، ٣٥) .
(٢) سورة السجدة الآية (١٥) .
(٣) سورة السجدة الآية (١٦) .

مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [1] وهم أيضاً أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يحبون الله ويحبهم الله ويحبون فى الله ويبغضون فى الله .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [2] .

فالإيمان ليس بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل كما قال معلم البشرية ﷺ .

معنى التقوى :

هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضاء بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل ، وهكذا عرفها عليّ ابن

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٠٧ » .
(٢) سورة المائدة الآية « ٥٤ » .

أبى طالب رضي الله عنه .

أ – الخوف من الجليل :

وهى درجة المراقبة ، أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك ، وتسارع إلى فعل الخيرات وترك المنكرات خوفاً من الله ، وإذا فعل الإنسان ذنباً سارع بالاستغفار والتوبة والندم والبكاء خوفاً من الله ويرجو رحمته بأن يقبل منه توبته وعمله الصالح ، قال ﷺ : « **عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعيناً باتت تحرس فى سبيل الله** »[1] .

وقال ﷺ : « **لا يلج النار من بكى من خشية الله** »[2] ، وقال ﷺ عن رب العزة : « **وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوفين وأمنين، من خافنى فى الدنيا**

---

(١) حديث صحيح : أخرجه الترمذى « ١٦٣٩ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد «٣٤٢/٢» والنسائى «١٣/٦» وابن حبان «١٥٩٩» .

آمنته يوم القيامة ، ومن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة » .

ب – العمل بالتنزيل :

لابد أن يتبع الخوف عمل ، ولكي يعمل الصالحات لابد من معرفة الحرام حتى يجتنبه ، والحلال حتى يأتيه ، لذا لابد من تعلم علوم الدين وحفظ القرآن أو حتى قراءته بتدبر ومحاولة فهم الآيات من كتب التفاسير وكتب السُّنة والفقة فإن لم يتيسر له سعى إلى تعلم علوم الدين بحضور الدروس .

قال ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخاري « ٣٦٤١ » ومسلم « ١٠٣٧ » .

اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] .

فالعابد يعبد الله ويظل الليل قائماً والنهار صائماً ، ثم يتعامل مع الناس بما لا يرضى الله ، أما العالم إذا جاءه الشيطان تذكر ما عرفه من علم فيحجزه علمه عن ارتكاب المعاصى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] ، والفرقان هو البصيرة ، وهو نور وهدى يقذف فى قلب المؤمن يفرق به الحق والباطل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

---

(١) سورة فاطر الآية « ٢٨ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ٢٠١ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٢٩ » .

تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] .

والعمل لابد أن يكون خالصاً لله بعيداً عن الرياء حتى يكون مقبولاً عند الله ، وبعد أن يعلم ويعمل لابد أن يعلم بقدر استطاعته ، فالعلم أمانة لابد من أداءها .

قال ﷺ : « نضّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها فربّ حامل فقه لا فقه له ، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه » [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [3] فنشر العلم من أجلّ القربات إلى الله ، فبذلك يعرف الناس الحلال من

(١) سورة فصلت الآية « ٣٠ » .

(٢) حديث صحيح: أخرجه الشافعي في مسنده « ٢٦٥٨ » وأحمد « ١٨٣/٥ » وأبو داود « ٣٦٦٠ » والترمذي « ٢٦٥٦ » وابن ماجه « ٢٣٠ »

(٣) سورة آل عمران الآية « ١٨٧ » .

الحرام فيعمل من يخاف الله به ويأخذ من عمله الأجر والثواب كما علمه ، قال ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم من آثام اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »[1] .

وبذلك ينصلح حال الأمة الإسلامة ، ولا سبيل إلى صلاحها إلا عن هذا الطريق وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾[2] .

جـ - الرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل :

فإذا عمل الإنسان بما علمه وداوم على الطاعة رفعه

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٦٧٤ » .
(٢) سورة آل عمران الآية « ١١٠ » .

الله درجات وقربه إليه فيزهد فى الدنيا وما فيها من نعيم لعلمه أنها فانية ويعمل للآخرة لعلمه أنها الباقية وأن الباقى هو الله وحده ويتعظ بمن سبقوه إليها .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [1] .

قال ﷺ : « يقول ابن آدم : مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » [2] .

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [3] .

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : أخذ رسول الله بمنكبى فقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر

---

(١) سورة الرحمن الآية « ٢٦ » .
(٢) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٩٥٨ » .
(٣) سورة الشورى الآية « ٢٠ » .

سبيل » [1] .

فنحن جميعاً فى هذه الدنيا كأننا فى رحلة قصيرة ليس لنا فيها مقام ، إنما مقامنا الحقيقى فى الآخرة ، فلو سافر أحدنا إلى بلدة ما لمدة قصيرة يقضى بها حاجة له ثم بنى فيها بيتاً وتركه ولم يبن فى بلده التي يقيم فيها بيتاً مثله عاد إليها ليجد نفسه فى العراء وسوف يتهم بالغباء فهو يبنى ما لا يسكن .

قال ﷺ : « **اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** » [2] .

فلو لم يفعل ذلك ندم أشد الندم يوم القيامة لأنه يومها حساب بلا عمل ، أما الدنيا فهى عمل واختبار لا يرى

(١) صحيح : أخرجه البخارى « ٦٤١٦ » .

(٢) صحيح مرسلاً : أخرجه الشهاب القضاعي فى المسند « ٤٢٥/١ رقم ٧٢٩ » وابن المبارك فى الزهد رقم « ٢ » وذكره السيوطى فى الجامع الصغير « ١٢١٠ » وذكره المزى فى تحفة الأشراف « ١٩١٧٩ » وعزاه للنسائى ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم « ١٠٧٧ » .

نتيجته إلا بعد الموت ، فإذا كان فى امتحان الدراسة من الممكن تداركه بإعادة السنة أو الدراسة فى مكان آخر ، فإن امتحان الآخرة إذا رسب فيه ، فلا يمكن تداركه ، فكيف يامسكين يكون همك امتحان يمكن تداركه وتنسى ما لا يمكن تداركه ، لذا كان الكيس من عمل لما بعد الموت ، أما العاجز فهو من نسى هذا اليوم وكان شغله همّ الدنيا .

يوم القيامة يفرح المؤمن بكتابه عندما يأخذه بيمينه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [1] ، أما الفاسق والكافر فيأخذ كتابه بشماله ويندم أشد الندم ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [2] ، فيومئذ لا ينفعه ماله ولا جاهه

---

(١) سورة الحاقة الآيات « ١٩ - ٢١ » .
(٢) سورة الحاقة الآيات « ٢٥ - ٢٧ » .

ولا سلطانه ، حتى أهله الذين هم أقرب الناس إليه يفرون منه فكل مشغول بهمِّه من الهلع والفزع ومن أهوال ذلك اليوم ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾ [1] ، لذا حذرنا رب العزة من أن تلهنا أموالنا وأولادنا عن ذكر الله وطاعته ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) ﴾ [3] ، فتجد المرأة مشغولة بأولادها عن الصلاة فى وقتها مع أنها لو حرصت على أداء الصلاة فى وقتها لبارك الله لها فى وقتها

---

(١) سورة عبس الآيات « ٣٤ – ٣٧ » .
(٢) سورة المنافقون الآية « ٩ » .
(٣) سورة الجمعة الآية « ١١ » .

وأولادها وهداهم ، فمن سارع إلى الطاعة أعانه الله عليها ، ومن تكاسل عن ذكر الله قيض الله له شيطاناً فيمنعه عن الطاعة ويجد صعوبة في أدائها .

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (١) .

وأما الرجل فيحتج بكثرة العمل ، أو أن صاحب العمل يمنعه ، وهذه حجج واهية ، فالصلاة لا تأخذ من وقت الإنسان إلا اليسير ، إلا أن الشيطان يزين لأوليائه ، قال ﷺ : « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر** » (٢) .

أما عن صلاة الجمعة التي شرعها الله وأوجبها فرضاً على الرجال فكثير من المسلمين يستهين بها ، ويفضل

---

(١) سورة الأعلى الآيات « ١٤ - ١٧ » .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٣٣ » ولكن بلفظ « إذا اجتنبت الكبائر »

اللهو والتجارة عليها وخاصة أنها يوم أجازة فيذهبوا إلى أماكن اللهو تاركين ما فرضه الله عليهم .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١) .

وقال ﷺ : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه » (٢) .

وقد سبق أن بيّنا معنى « الطبع » على القلب ، وهذا التشديد فى العقاب لما لصلاة الجمعة من أهمية للمسلمين، فالخطبة درس أسبوعى يزداد بها المؤمن علماً بأمور دينه ، وبالتالى يزداد تقوى وقرباً من الله ثم يعود إلى أسرته يعلمهم ما تعلم من علم ويأمرهم وينهاهم بما تعلم ،

---

(١) سورة الجمعة الآية « ٩ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ٤٢٤/٣ » والدارمى « ٣٦٩/١ » وأبو داود « ١٠٥٢» والترمذى «٥٠٠» .

فينصلح حال الأسرة التى هى اللبنة الأساسية للمجتمع وبها ينصلح حال المجتمع المسلم كله ، فالمؤمن يثق بربه وأنه هو الرزاق، وأن الصلاة والمحافظة عليها هى سبب الرزق وليس العكس .

قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم

---

(١) سورة طه الآية « ١٣٢ » .

(٢) سورة النور الآيات « ٣٧ ، ٣٨ » .

بما كانُوا يكسِبُون (٩٦) ﴾ [١] .

إن ضعيف الإيمان والمنافق لا يثق فيما عند الله من رزق ويعتقد أن الجرى وراء المال سواء كان حلالاً أم حراماً أو كان على حساب العبادة هو الطريق للحصول على المال ويزين له الشيطان عمله هذا ، فيقول العمل عبادة فهو لا يقنع بما رزقه الله من الحلال ويخشى لو ذهب إلى الصلاة أن يفوته الرزق أو أن يطرده صاحب العمل .

وهذا الفكر المادى جاءنا من المجتمعات الغربية التي لم يعد للدين فيها مكان ، وأصبحت المادة هى الإله الذى يعبد من دون الله ، فقلدناهم دون تدبر وفعلنا مثلهم وخرجت المرأة للعمل وكلفت نفسها ما لا تطيق بدعوى المساواة والحرية والسعي على الرزق الذى لم يكلفها الله به رحمة بها ، لأنه أعلم بمن خلقه ويكفيها ما تتحمله من أعباء الحمل والرضاعة والولادة وتربية الأولاد ، وكرمها فى

(١) سورة الأعراف الآية « ٩٦ » .

القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] ، وكذلك أغناها الله فهى ترث ولا تنفق على الأسرة لأنها غير مكلفة بذلك ، وعند الزواج يعطيها الزوج مهراً خالصاً لها ليس لوليها حقاً فيه ، أما الديانات الأخرى فالمرأة لا ترث ولا تملك وأبوها يدفع للزوج ما يسمى بـ « الدوطة » حتى اسمها تفقده بالزواج فتنسب إلى اسم زوجها ، فلما وجدوا ما للمرأة المسلمة من حقوق ثاروا وطالبوا بالمساواة وما إلى ذلك ، أما نحن المسلمين فليس لنا ما يبرر تقليدهم ، فلنا تشريعنا العادل الحكيم الذى أعطى كل ذى حق حقه ، وإن كان فى المجتمع رجال ظلموا المرأة ولم يعطوها حقها ، فليس هذا عيب التشريع ولها أن تعود إلى كتاب الله لتعرف ما لها من حقوق ، لا أن تجرى وراء الكفرة

(١) سورة لقمان الآية « ١٤ » .